

كواحدة من المنابر

اتفق العلماء على مصادر ثلاثة للجنس البشري وإن اختلفوا حول أصولها فهناك من يرتضي التقسيم الانثروبولوجي ويرى وجهة النظر التالية :

- اولا - الجنس الأري من الفرس والجرمان والانجليز والفرنسيين *
- ثانيا - الجنس الطوراني أو المغولي من الصينيين واليابانيين والمغول *
- ثالثا - الجنس السامي من العرب (آراميين وعبرانيين وكلدانيين وآشوريين وفينيقيين) *

وهناك من يرتضي التقسيم اللوني ويرى وجهة النظر التالية :

- اولا - الجنس الأبيض الذي يشمل الساميين والأوروبيين *
 - ثانيا - الجنس الأسود والأحمر ويشمل سكان افريقية الأصليين *
 - ثالثا - الجنس الأصفر ويشمل الصينيين واليابانيين والطورانيين *
- وهناك من يرتضي التقسيم الديني الذي أوردته التوراة في سفر التكوين من سلالة نوح :

سبب الأصيلة للشعوب السامية

للدكتور عبد الشافي غنيم عبد القادر
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية التربية - قطر

اولا - اولاد يافث وهم سبعة جومر وماجوج ومذاي وديوان Javan وتربال
وماشك وتيراس *

ثانيا - اولاد حام وهم اربعة كوش ومصرائيم وكنعان وقوط *

ثالثا - اولاد سام وهم خمسة عليوم واشور وارغشث ولود واران *

ومهما يكن من امر فان المتبع لهذه التقسيمات يرى أنها كلها تكاد تتفق فيما
بينها على الجنس السامي الذي يعتبر من أهم وأعرق هذه السلالات فيه نشأت
الحضارات القديمة المعروفة وفي مقدمتها الأكديّة والبابليّة والآشورية والكلدانية
والعبرانية والفينيقيّة وعلى أراضيه نبتت الديانات السماوية الكتابية وفي مقدمتها
الموسوية والمسيحية والإسلام *

من العلماء من يفرق بين لفظتي « بنو سام » كما وردت في العهد القديم
و « الساميون » كما عرفها علماء اللغة أو الأجناس ، فالأولى تعني الشعوب التي
انحدرت من سام طبقا لما ورد في العهد القديم بينما تعني الثانية جميع الشعوب التي
كانت تتكلم اللغات السامية *

وقد أطلق العرب على الساميين العرب البائدة وتعتبر عاد أولى هذه
الشعوب *

ليس فقط لجرد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من عشر سور مكية وإنما لأن أقالها تعدت شبه الجزيرة العربية ووصلت إلى مصر وبابل وسورية بل أن المؤرخ اليوناني القديم سترابون (٦٣ - ١٠٠ ق م) يتحدث عن مستعمرة عربية أنشأتها عاد في جزيرة أيوبيا Euboea وهي إحدى الجزر القريبة من سواحل اليونان (١) *

وقد اختلف المؤرخون حول المناهات الأصلية للشعوب السامية وسوف نحاول في هذا البحث أن نصل إلى تحقيق هذا الحدث التاريخي على مرحلتين المرحلة الأولى نناقش فيها بعض الآراء التي تناولت هذا الموضوع بوجه عام وهي في مجموعها أربعة اتجاهات أفريقية وأرمينية وكردستان وبابل والجزء الأدنى من الفرات ثم بلاد العرب وبانتهاج التدليل على أن بلاد العرب بوجه عام تمثل المنبت الأصلي للعناصر السامية تنتقل إلى المرحلة الثانية وفيها نناقش أي أجزاء بلاد العرب على وجه التحديد كانت المنبت الأصلي للساميين أم وسط شبه الجزيرة العربية أم شرقها أم جنوبها وسوف نحاول في هذا البحث الضيق أن نصل إلى ما يقرب من الحقيقة في التعرف على هذه الحقيقة التاريخية مستعينين في ذلك بمختلف المصادر والمراجع الكلاسيكية والعربية والأجنبية ثم الكتب السماوية وسوف نرى إلى أي حد سوف يكون الاعجاز القرآني عاملاً ومؤثراً في الوصول إلى حكم نهائي في هذه القضية التاريخية *

أولاً - يرى بعض الباحثين أن الموطن الأصلي للعناصر السامية كان في إفريقية حيث توجد السلالات العامة ويمكن تتبعها وتمييزها وأنه لا بد من أن نأخذ شقيق حام قد عاش معه في إفريقية ويدلل أصحاب هذا الرأي على صحة نظريتهم بدليلين الدليل الأول هو التشابه الواضح بين اللغات السامية من جانب واللغات المصرية القديمة واللغة القبطية ولغات البربر والكوشيين من الإشارية والجل والصوماليين وغيرهم أما الدليل الثاني فهو ذلك التشابه في الصفات الجنسية بين الهمثيين الذين يسكنون جنوب بلاد العرب من الساميين والأحباش الذين يعيشون في شرق إفريقية من الساميين وهذا يفسر لنا السبب في أن المؤرخين الأقدمين لم ينتظروا إلى اليمن والحبشة على أنهما قطرين منفصلين ولكن تسمية لقطر واحد أطلقوا عليه أثيوبيا (٢) *

غير أن هذين الدليلين يمكن أن نفندهما بالقول بأن ذلك التشابه اللغوي والجنس في الجانبين ربما كان راجعاً إلى الهجرات التاريخية المعروفة التي قام بها الساميون من شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية في ثلاث دروب معروفة أحدهما شمالاً بشرق ويتجه إلى العراق والثاني من وسط شبه الجزيرة إلى شمالها والثالث عبر بونغاز باب المندب إلى إفريقية مورو بالصومال والحبشة وشمال السودان ومصر وشمال إفريقيا وليس من شك في أن هذه الهجرات التاريخية السامية

المعروفة تاريخيا سوف تفيدنا الى حد كبير في اثبات وحدة الأرومة في الرقعة المعروفة بالعالم العربي كما تساعد الى حد كبير في تأكيد النظرية الجديدة القائلة بعروبة القراعتة من سكان مصر القديمة وانه لم يكن هناك ما يدعو الى ذلك الخلاف الفكري والحضاري بين مسلمي مصر واقباطها حول المفاضلة بين الاتباعين الفرعوني والعربي ما دامنا في النهاية الى أرومة واحدة قادمة من شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية (٣) *

ثانيا - يرى فريق آخر أن الوطن الاول للساميين في أرمينية وكردستان وليس هناك من دليل يساق لتضيق هذا الرأي سوى اشارة وردت في المهد القديم تقول : « كان سكان الارض جميعا يتكلمون بلغة واحدة ولسان واحد وقد حدث في اثناء رحلتهم من الشرق أن وجدوا سهلا بارض شنغار (بابل) فأقاموا فيه ومن هنا فرلقهم الله في طول الأرض وعرضها وكثروا عمن بناء المدينة ومن ثم أطلق عليها اسم بابل » (٤) *

وهنا قد يتساءل الانسان ما الذي تعنيه التوراة بكلمة الشرق وقد حار مفسرو المهد القديم في الوصول الى اجابة مقنعة لهذا السؤال فقد يتبادر الى الذهن لأول وهلة أن المقصود بكلمة الشرق هنا أرمينية حيث يوجد جبل أراوات الذي ألفت فيه سفينة نوح مراسيها كما جاء بالمهد القديم غير أن الصعوبة هنا هي أن أرمينية لا تقع ناحية الشرق سواء بالنسبة لبابل أو فلسطين وللخروج من هذا المأزق قال البعض أن موسى كان يعيش في مصر وتقع أرمينيا الى الشرق منها بينما قال البعض الآخر أن الانسان عرف أول ما عرف الأفق الشرقي فقط والشرق هو المكان الذي تشرق منه الشمس ومن ثم أشير الى أرمينيا على أنها تقع الى الشرق *

غير أن التحقيق الى الأقرب الى الصحة في هذه العبارة التي وردت في المهد القديم يأتي من مصدر هام من أقدم مصادر المعرفة في هذا الموضوع لدوجة أنهم يجعلونه تاليا في القدم للتوراة ذلك المصدر هو كتاب المؤرخ اليهودي يوسف Josephus « آثار اليهود القديمة » الذي يمكن أن يمد الى حد ما أنه تفسير للمهد القديم وقد جاء في هذا الكتاب « ان الأجناس السامية كانت تنتشر من الفرات حتى سواحل المحيط الهندي ولا يعني ذلك سوى مناطق شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية » (٥) *

ثالثا - يرى فريق ثالث يتزعمه كل من المستشرقين جيدي Guididd الإيطالية وفون كريمير Von Kremer الألماني أن المناهات الأصلية للعناصر السامية كانت في

العراق وبالذات في بابل وقد اعتمد هذان المستشرقان في التدليل على صدق وجهة نظرهما بأدلة لغوية وفيلولوجية فالمستشرق الإيطالي جيدي يقول « إن كل لغة يجب أن تتألف في بادئ أمرها من كلمات تعبر عن ضرورات الحياة الأولى وتظل هذه الكلمات متوارثة في كل فرع من فروعها ولذلك فإن الألفاظ التي نجدها مكررة في جميع اللغات السامية يمكن أن نقودنا إلى تعيين الموطن الأول لأصحابها وإذا استرشدنا بهذا المبدأ لوصلنا إلى النتيجة وهي أن الموطن الأول للساميين هو الجزء الأدنى من الفرات » (٦) *

أما فون كريمر فقد تعرض الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٧) إلى نظريته القائمة على دراسة أسماء النباتات والحيوان في اللغات السامية وتصنيفها وتبويبها للتمكن بذلك من معرفة المسميات المشتركة والمسميات التي ترد بكثرة في أغلب تلك اللغات والتوصل بهذه الطريقة إلى الوقوف على أقدم الحيوان والنبات عند تلك الشعوب واعتدى من ذلك إلى جعل بابل الموطن الأصلي للعناصر السامية *

وقد قند المستشرق تولدكه هذا الرأي بقوله :

أولاً - أن الكلمات الشائعة التي تعبر عن ضرورات الحياة قد فُتيت بتقادم المهد *

ثانياً - أنه افتراض تردد الألفاظ التي تعبر عن حاجات الحياة الضرورية بين ما تفرع عن اللغة الواحدة لا ينطبق على اللغات السامية التي تختلف فيها الألفاظ التي تعبر عن أمور ضرورية مثل كلمات خيمة وولد رجل وعجوز وما إليها هذا إلى جانب أن هذه الألفاظ الشائعة بين الساميين في الشمال والساميين في الجنوب والتي يرى فيها الأستاذ جيدي أنها لا بد وقد نشأت في وطن الساميين الأول لم يكن من الميسور تتبعها في البقاع القريبة من الفرات *

ثالثاً - بلاد العرب الموطن الأصلي للعناصر السامية :

تكاد الغالبية العظمى من المؤرخين وخاصة ثقاة المستشرقين الذين استهوتهم هذه الحقيقة التاريخية يجمعون على أن شبه الجزيرة العربية تعتبر الموطن الأول للعناصر السامية ، فالمستشرق وليام راييت سمي W. Wright Sayce يقول « تزيد التقاليد السامية بصورة قاطعة أن بلاد العرب كانت الموطن الأول للساميين والواقع أنها المنطقة الوحيدة التي ظلت منذ ذلك الحين تحمل الطابع السامي وكذلك تشير الصفات

الجنسية ومظاهر التمصب الديني والأزوار من مخالطة الأجانب ونظام الحياة البدوية وأشياء أخرى كثيرة أن الساميين قد نشأوا في بيئة صحراوية وأن أقرب هذه البيئات الصحراوية لهذه النشأة هي شبه الجزيرة العربية ، (٨) .

أما المستشرق الدكتور سبرنجر Dr.Sprenger فيذكر في كتابه عن جغرافية بلاد العرب القديمة (٩) في اعتقادي أنه يمكن أن تتبع الساميين جميعا إلى مواطنهم الأولى في شبه الجزيرة العربية وقد قسموا أنفسهم إلى عدد من القبائل والبطون ، *

وكذلك المستشرق كرادر يرى أن الروايات الدينية والأبحاث اللغوية والأدلة التاريخية والجغرافية تؤيد الرأي القائل أن الوطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب (١٠) .

ثم يأتي المستشرق دي غوية يذهب إلى القول بأن الجزيرة العربية كانت الموطن الأول للعناصر السامية وانها هاجرت منه في عشائر مختلفة إلى كل من سوريا وبابل وسمان واليمن وهي تدفع أمامها ما تقدمها من موجات الهجرة التي اتجهت نحو كردستان وأرمينية وأفريقية (١١) -

وقد جاء المستشرق هيرين Heaven ليؤكد في مؤلفه عن بحوث تاريخية في التجارة والسياسة القديمة ما ذكره سابقوه من اعتبار بلاد العرب المهد الأصلي للعناصر السامية فيقول « من الواضح أن الآشوريين خرجوا من بلاد العرب الموطن الأول للساميين ولو أنهم غيروا مجرى حياتهم اليومية التقليدي السابق ومارسوا نظاما زراعيا بحثا متأثرين في ذلك بطروف بيئتهم المحلية وأحوالهم وأنه لا بد من مضي بعض الوقت قبل أن نستطيع المفاضلة بين مذاهب هؤلاء العلماء المختلفين واختيار أقربها إلى الصواب ولكنني في الوقت الحاضر أرى ما يراه كرادر Schrader ودي غوية في هذا الموضوع كما اتفق مع ما ذكره وليام رايت في مؤلفه عن قواعد اللغة السامية » (١٢) .

أما الأستاذ روجرز R. W. Rogers فيذكر عن هذا الموضوع ما يلي :

« لا يمكن أن نقطع برأي محدد عن الوطن الذي خرج منه هؤلاء الغزاة الساميون ولقد اعتقد البعض أنهم أتوا من الشمال الشرقي من خلال ممرات جبال كردستان وأن بابل كانت البلاد التي شهدت أول ظهورهم كأمة متقدمة ومنها انتشروا في غربي آسيا حيث نشأت منهم دول كبيرة كالعرب والكنعانيون والآراميون - وعلى الرغم من أن هذا الرأي قد لقي تأييدا شديدا في وقت ما إلا أن حجة العلماء قد تبدوء

ولم يبق ممن يناصرون هذا الرأي سوى قليل ممن يعتد برأيهم وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الوطن الأول للساميين كان في المريتية في الشمال الشرقي أو الغربي منها ومن الغفلة أن ننكر أن هناك أدلة لغوية قوية تؤيد ذلك إذ يوجد تشابه واضح بين اللغات السامية من جانب ولغة المصريين القدماء واللغة القبطية ولغات البربر والكوشيين (من البشارين والجلال والصوماليين) .

ولكن مهما قيل من أدلة لتعصيد هذا المذهب فهناك رأي ثالث جدير بالاعتبار يذهب إلى أن الوطن الأصلي للساميين كان في بلاد العرب وقد خرجوا منه في موجات متتالية من الهجرات ليجدوا أرضاً أوسع وأكثر غنى في بابل والعراق ومصر وفي أرض كنعان في الغرب ويبدو أن الرأي الأخير يؤيده الحقائق التي أميط اللثام عنها ويلوح لي أنه خير حل لهذه المسائل المعقدة ، (١٣) -

وقد كتب المستشرق صمويل لانج Samuel Laing حول هذا الموضوع فقال « يبدو أن المسألة واضحة وضوحاً كافياً ومهما في تحديد الوطن الأول للأريين فالوطن الأول للساميين لا بد وأن يكون ببلاد العرب لأننا في كل مكان آخر لا نعرفهم إلا وافدين من الخارج أو غزاة فاتحين وجدوا شعوباً من أجناس أخرى سبقتهم إلا في الجزيرة العربية حيث يبدون وكأنهم السكان الأصليون ولذلك فإن التاريخ القديم لكلدنيا وأشور وتقاليدهم الموروثة تشير إلى أن الساميين قد وفدوا من الجنوب أما عن طريق الخليج الفارسي (العربي) عبر صحراء بلاد العرب وسوريا ولذا فنحن لا نعرف غير الساميين فقط في بلاد العرب منذ أقدم العصور » (١٤) .

أما تولدكه ويعتبر أكبر ثقة في هذا الموضوع فقد ذكر في دائرة المعارف البريطانية في حديثه عن اللغات السامية « بعض كبار العلماء يرى أن جزيرة العرب الوطن الأول للجنس السامي وهناك كثير من الأدلة تؤيد هذه النظرية ويحفل التاريخ بأخبار القبائل التي خرجت من جزيرة العرب منذ فجر التاريخ واستقرت بالأراضي الزراعية التي تتاخم صحراء بلاد العرب وقد احترقوا الزراعة واتخذوها نظاماً لحياتهم وهناك كثير من الأدلة اللغوية تشير إلى أن العبرانيين والآراميين من أصل بدوي والحسب أن جزيرة العرب وامتدادها الشمالي في بادية الشام هي الوطن الحقيقي الملائم لشعب بدوي والفروض أن العرب يمثلون الصفات السامية أصداق تمثيل وإن لفهم أقرب إلى الأصل السامي من لغات الأجناس التي تشبههم ونحن نؤيد تأييداً تاماً هذه النظرية التي ترى أن جزيرة العرب هي الوطن الأول لكل الشعوب السامية لأنها نظرية جديرة بالتعصيد والتأييد » (١٥) .

وقد ذكر عالم آخر في بحث له عن جزيرة العرب في دائرة المعارف البريطانية
« ان جزيرة العرب بلد سكانها ساميون ويذهب بعض العلماء الى انها كانت الوطن
الأول للشعوب السامية ورغم أن هذا الرأي لم يقم عليه الدليل القاطع الا أن الأبحاث
اللغوية والأركيولوجية لعلماء الدراسات السامية تشير الى أنه محتمل ومن السهل
أن نتخيل كيف تفرقوا من الجزيرة العربية فالهجرة الى بابل من الأمور الميسورة حيث
لا توجد حواجز طبيعية تعزلها من شمال شرق بلاد الجزيرة العربية كما حدثت هجرات
مماثلة في العصور التاريخية المختلفة ولذلك فإن هجرة الأراميين في الأزمنة المبكرة لا
تحول دونها أية عقبة طبيعية » (١٦) *

من كل هذه الأراء التي سقتها لمعظم المؤرخين المهتمين بالدراسات السامية
نرى أن شبه الجزيرة العربية بوجه عام تعتبر الموطن الأول للعناصر السامية ومنها
تسللت الى كثير من البلدان المجاورة فمن طريق سبأ المتدب وصلت الى الحبشة
والصومال وشمال السودان ومصر وشمال افريقية وعن طريق سواحل الخليج العربي
وصلت الى بابل وأرمينيا ومن وسط شبه الجزيرة وصلت الى سوريا وإن كان ذلك
لا يمنع أن هناك تلميحا ساميا لسوريا من بابل والعكس كما أن كل منطقة الهلال
الخصيب لا بد قد زودت مصر وشمال افريقيا بموجات سامية *

ويمكن أن نلخص الأدلة التي تؤيد وجهة نظر المؤرخين في اعتبار شبه الجزيرة
العربية الموطن الأول للعناصر السامية بما يلي

أولا - تعد اللغة العربية أقرب اللغات السامية للاتصال السامي الأول *

ثانيا - شهادة التاريخ بموجات الهجرات المرحلية التي خرجت من شبه الجزيرة
الى البلاد المجاورة *

ثالثا - تشابه التركيب الجشائي للعرب بما امتاز به الساميون من صفات
بيولوجية *

رابعا - ان الحياة البدوية التي يحياها قسم كبير من سكان شبه الجزيرة
الحاليين هي أثر بدائي وقديم للمعيشة عند الساميين *

خامسا - تأصيل بعض العادات السامية القديمة عند العرب الحاليين وفي
مقدستها الحرم على المرأة والأزوار عن مخالطة الأجانب والتمسب العقدي
والعلافة الفكرية *

سادسا - قصر خاصية التثبيت بالأروسة السامية على العرب وحدهم دون
غيرهم من الشعوب *

نتنقل بعد ذلك الى الشق الثاني من هذا البحث وصولا من التعميم الى
التفصيل وبعد ان طرحنا الأدلة على أصالة شبه الجزيرة العربية في بنو الشعوب
السامية نحب أن نناقش قضية أكثر عمقا ووعورة من سابقتها وما أظن أن هناك
كثيرين تصدوا لمناقشتها اكتفاء بنسبة الجنس السامي الى بلاد العرب بوجه عام وهي
البحث عن أي أجزاء شبه الجزيرة العربية يمكن أن نعتبره المهد الأصلي للساميين *

لم يتحدث التاريخ الجاهلي أو الأدب الجاهلي عن الساميين بالتعدد وإنما
تحدثوا عن العرب البائدة التي هادت واندثرت معالمها وكان التعبير عن هذه العرب
البائدة يتمثل في الشعوب العربية القديمة التي انفرد بها القرآن الكريم دون غيره
من الكتب السائدة وفي مقدمتها عاد وثمود لدرجة أنهم قسموا عاد الى عاد الأولى
وعاد الثانية وكذلك فعلوا بشود كما تحدث الشعر الجاهلي عن طمس وجديس وهي
من الشعوب البائدة التي تناسلت من عماد وثمود وقد حاول بعض المؤرخين من أصحاب
السير أن يربطوا بين عاد وبين هدورام التي جاءت في التوراة على اعتبار أن عاد
قرنها القرآن الكريم في سورة الفجر بعد ارم في قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك
بعد ارم ذات العماد » غير أن التوراة حين تشير الى هدورام (١٧) تشير الى أنهم
من نسل بقطان أو قحطان من العرب العاربة بينما المعروف أن عادا من العرب البائدة
وعلى هذا الأساس يكون القرآن الكريم هو الذي انفرد يربط عاد بأرم وهي معجزة
الله التي سوف تساعدنا على التدليل بأن نشأة الأولى للساميين كانت في شرق
وجنوب شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية *

لقد كان اقتران عاد بأرم في القرآن الكريم سببا في وقوع كثير من الاخباريين
والمفسرين في الخلط بين ارم كاسم علم لأرم بن سام (١٨) وكمدينة اختلغوا حول
تعدد مكانها فمنهم من يراها في « تيه أبين » بين مدن وحضرموت ومنهم من يراها
في دمشق والاسكندرية (١٩) وقد حاول كل فريق أن يدل على صحة رأيه وعلى الرغم
مما في هذه الأراء الثلاثة من انعدام الأدلة العلمية الصادقة إلا أنها ان دلت على شيء
فإنما تدل على صدق ما ذهب اليه المؤرخون من حقيقة الهجرات السامية من شبه
الجزيرة العربية الى الأراضى المحيطة بها ومحاولة بعض المحققين الربط بين عواصم
هذه البلاد التي ارتحلوا اليها وبين السامية الأصلية *

ولكي نصل الى هدفنا من هذا البحث لا بد وأن يتعرف القارئ على شي موجز
من أمر عاد وحقيقة وجودها التاريخي وبداية نشأة هذا الوجود لأن ذلك سوف يقودنا

بالضرورة الى التعرف عن المناهض الأولى للعناصر السامية ما دام الاجتماع على أن هادهم أقدم القبائل العربية البائدة التي تنتسب الى آدم بن سام كما جاء في قوله تعالى « واذكروا (مغاطبا عاد) اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح » لفظة عاد لفظة سامية الأصل ثم انتقلت منها الى العبرية والعربية وهي تعني « المرتفع أو الشهير » وتدل لفظتها « آدم » و « سام » على نفس المعنى وقد استخدمت كلمة عاد في التاريخ القديم للدلالة على الذكور وعادة للأنثى (٢٠) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عشرات الآيات الكريمة نذكر منها على سبيل المثال :

وقوله تعالى « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بنهر العقق وقالوا من أشد منا قوة » .

وقوله تعالى « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » (٢١) .

وقوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (٢٢) .

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي نجدتها منتشرة في بعض مواضع من السور المكية أما في الشعر الجاهلي فنراها في كثير من القصائد نجتزئ بعضها في الآيات التالية :

- ١ - لو أنني كنت من عاد ومن آدم
ريبت فيهم ولقمان ومن وجدن (٢٣)
- ٢ - لنا الجبلان من أرمسان عاد
ومجتمتع الآلادة والفضاة (٢٤)
- ٣ - ألا لا تجزمي وتكذيبي
ملائكة من رب عاد وجرهم (٢٥)
- ٤ - أفنتين عاداً شم آل محرق
فتركهم بلدا وما قد جمعوا (٢٦)

وقد درج المؤرخون الكلاسيكيون على ذكر عاد في مؤلفاتهم دائما مقرونة بأرم بن سام فهيرودوث المؤرخ الإغريقي القديم لا يتحدث عن العرب الأقدمين إلا بلفظ Adrimiteae آدميتاي وكذلك كان يذكر ثمود وطسم وجديس بل ان كتب السير القديمة كانت تقرن دائما هذه القبائل بأرم بن سام فكانت تقول « عادارم » و « ثمودارم » و « طسم ارم » و « جديس ارم » وذلك يعني تماما فكرة الصاق ارم بأية مدينة من المدن .

من ذلك كله يتضح لنا حقيقة نسبة عاد الى الأجداد السامية الأولى وانها أقدم الشعوب السامية على الإطلاق التي ذكرها القرآن الكريم والشعر الجاهلي والتاريخ الكلاسيكي غير العربي كما ربط مؤرخو السير عاداً دائماً بآرام بن سام *

أما أدلة بداية عاد السامية في شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية فيمكن أن ندلل عليه بما يلي :

أولاً - ليس هناك بعد القرآن الكريم دليل على صدق هذا الرأي حين يقول في وضوح لا لبس فيه ولا غموض « واذكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » والمقصود بالأحقاف هنا الموضع المعروف بين حضرموت واليمن كما أن آخا عاد المقصود في القرآن الكريم هو نبيهم هود ولعل ذلك هو الذي دفع بعض مؤرخي السير الى تصور وجود آرام في « تيه أبين » بين عدن وحضرموت *

ثانياً - ان كثيراً من المحققين يحاولون الربط بين كلمة حضرموت وبين « عادارم » وان المقطع « حصن » هو « حاد » أي عاد وان ارتباط « عاد » « عاد » بالنسبة لأرم هو الذي أدمج بين المقطعين وبمرار الزمن أصبح يطلق عليها حضرموت ويؤيد ذلك الاتجاه ربط القرآن الكريم بين عاد والأحقاف من حضرموت *

ثالثاً - ان معظم المؤرخين والمستشرقين يذكرون أن الشعوب السامية الأولى بدأت في البلاد الواقعة بين مصب الفرات وجنوب اليمن وعلى سواحل الخليج العربي وإذا كانت الهجرات التاريخية قد أثبتت حركات موجاتهم المرحلية في كل اتجاه فليس من المعقول أن يتحدد وجودهم الأصلي بحضرموت والأحقاف وانهم لا بد سكنوا كل هذه المنطقة في وقت ربما كانت فيه الظروف الطبيعية والمناخية تختلف عما هي عليه الآن بدليل أن القرآن الكريم وصف قوتهم المادية والعمرائية وصفا يدل على ما كانوا يتمتعون به من قوة وازدهار إضافة الى اعتبار المؤرخين الكلاسيكيين من اليونان والرومان « أدرياتي » هم سكان الجزيرة العربية بوجه عام *

رابعاً - على الرغم من أن الأبحاث الأركيولوجية على طول هذه المنطقة لم تنل حتى الآن ما تستحق من دراسة واعتماد فقد أثبتت الأبحاث التي قامت بها بعض البعثات الأجنبية على وجود حفريات لبثاني قديمة متعددة الحجرات وأوان نحاسية وبرونزية وجدران لادن قديمة وأسوار لبعض القلاع وأقبية لمقابر قديمة وغير ذلك من الآثار التي ربما تحدث انقلاباً في التاريخ القديم لهذه المناطق كالذي أحدثته الاكتشافات الأثرية القديمة لمصر القديمة اعتباراً من النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي *

خامساً - ما ذكره المؤرخ الكلاسيكي القديم Josephus في مؤلفه « آثار اليهودية القديمة » من أن الأجناس السامية الأولى كانت تنتشر من الفرات حتى سواحل المحيط الهندي ولا يعني ذلك سوى مناطق شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ويعتبر هذا المؤلف أقدم مؤلف بعد العهد القديم .

د . عبد الشافي غنيم عبد القادر

المصادر

« أولاً » العهد القديم القرآن الكريم كتب التراث

« ثانياً » المصادر الأجنبية

1. S. M. Nadvi: The Geographical History of the Kuran.
2. Roger: History of Babylon and Rssuria.
3. Forster: Historical Geography of AsabiāW
4. Bevan: Ancient Geography.
5. Hearen: Historical Oesearches of Ancient Commerce and Politics
6. G. Sale; Introduction to the Translation of the Kuran.
7. W. Wright: Grammer of Semitic Language.
8. Huart: Introduction to History of Arabia.
9. Samuel Laing: Human Origin.
10. Dunker: History of Antiquity.

الهوامش

- 1 - Forster: Historical Geography of Anabia, p. 71.
N. Nadvi: The Geographical History of the Koran pp. 115-118.
- 2 - دكتور جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، وجهة نظر لابلية للمناقشة العلمية .
- 3 - سفر التكوين ، الاسحاح العاشر ، ص ٢٢١ .
- 4 - Nadir: The Geographical History of the Kuran p. 125.
- 5 - سفر التكوين ، الاسحاح العاشر ، ص ٢٢١ .
- 6 - Nadir: The geographical history of the Kuran P. 125.
- 7 - ج ١ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
- 8 - Sayce: Assyrian Grammer p. 10.
- 9 - Sprenger: Geography of Anaunt Arabia, p. 105.
- 10 - Nadir: The geographical History of the Koran, p. 119.
- 11 - Ibid; p. 120.
- 12 - Heeren, Historical Researches of lencient Commerce and Politics, vol. 1, p. 292.
- 13 - Rogers, History of Babylon and Ossuria, vol, p. 52.
- 14 - S. Laing: Human Origin, p. 28.
- 15 - Enq — Brit. Vol. XXIV p. 620.

- 1٧ - سورة الفجر : الآية ٦ وما بعدها *
- 1٨ - سفر التكوين : الآية ٢٦ *
- 1٩ - كان لسام بن نوح خمسة اولاد هم ارم ولود وارافشش واشور وعيلام *
- ٢٠ - سورة ٧ ، آيات ٦٥ وما بعدها *
- ٢1 - سورة ٩1 ، آية 1٥ *
- ٢٢ - سورة ٩٦ ، آية ٢1 وما بعدها *
- ٢٣ - سورة 11٩ ، آية ٦ وما بعدها *
- ٢4 - من شعر صريم بن ممشر بن نعل *
- ٢٥ - من شعر الطرماج بن حكيم *
- ٢٦ - ديوان امية بن ابي الصلت *